
رابعة
أبو عبدو البغل
كرم صابر

رَابْـعَـة

شِعْر

كرمَ صابر

اسم الديوان : رابعة
المؤلف : كرم صابر

الطبعة الأولى: ٢٠١٣
رقم الإيداع: ٢٠٧٧٢/٢٠١٣
الترقيم الدولى: ٣-٢٢-٧٣٠٠-٩٧٧-٩٧٨

كرم صابر: أديب مصرى نشأ فى مدينة الوراق وقت أن كانت قرية يعمل أهلها بالزراعة قبل أن يدمجها الزحف العمرانى بالقاهرة، وبدأ العمل بالمحاماة عام ١٩٨٩؛ نشر العديد من الأعمال السردية منها : المتهم، وأين الله، ورائحة الأنوثة، وعشق الحياة، وفؤاد المدينة، وطائر النسيان، ومريم العذراء، وكلاب السكك.

طبعة إليكترونية : ٢٠١٥

إهداء

إلى الدكتورة زينب أبو المجد المرأة العنيدة الطيِّبة التى تستحقُّ الحَياةَ والسّعَادة

(١)

رَابْعَة أسيرة فى الظلام
وسْط الكلاب المَسْعورين
رَابْعَة أميرة تَنْتحب
من صمت خلاَّنى
رَابْعَة صبية تُغْتصب
من فُجّر جيرانى
رَابْعَة تموت
فهل من مُجيب؟!

رَابْعَة جريحة
فهل من طبيب
يخيطِ الجرح
ويطهِّر العين
ويُخْرِجُ الرصاص من قلوب الصبايا
الواقفات على الجسور
فى انتظار
عودة المسحولين؟

رَابْعَة تموت
ونحن نقف فى الشاشات
ونملأ الصفحات
ونرفَع أعلام التحية للضباط
الذين مزقوا أشلاء الضحايا
ورفضوا الصمت
وعلت حناجرهم بالرّفض.

سيمر يومى وأواصل سَيْرى
بين درُوبك المَنْسيَة
وأنت تَقفين
بالْمَنَاور
وتختبئِين كالفئْران
وتصْرخين.

خَمْسون عامًا
أو ما يزيد
وأنت تَنْظُرين
من خَلْف الباب
تَأملين فى
خروجِ النور
من بيْن ضلوعي
وحين قارب الربان
على رؤية الشَّط
اغْتَالوا عيونى
وحَرَقوا المَراكب.

سيقولون من هى رَابْعة
التى بالَت علينا
وأضحتْ رائحة
عَرقها
مثل بول المناضح؟!

ستقولين بعلوَ الصّوت
"أنا المدينة الخَالدة
أم الحَضَارة
أنا الحُقول ومحاصيل الذرة
ونور الصّباح ".

وحين طَال انتظارى
وقفْتي داخل ضُلوعى
وأشهَرتى سيفك
فسَال دمى
على الأسفلت
مرثية.

رَابْعَة الأميرة
هى كُلُّ الضحايا
فى نجُوع بلادى
البعيدة.

الآن ترفعون الشعار
وتحسون بالدم
والقتل المباح
ونحن منذ آلاف السنين
ندفن ضحايانا
على الأسفلت
ونغوص فى البِرَك
بحثًا على موتانا.

ويطير قلبى
حين يحتاج الصراخ
ويلفُّ من بابٍ
لسور
ومن دربٍ
لنور
يأملُ فى رغيف
الخبز
أو حُقن المُسكِّن.

وأمى المكلُومة
تقف أمام الباب
تنتظر عودة العمال
فى ثوب الصباح.

يا أمى إذا جاء
إليكى الجنود
مرة أخرى
فلا تفتحى الشباك
فخلف كل باب
متراس وسيف
وقائد خان
الأمانة
وبَال حُصَانه
على شال أبى.

سيقولون نحن أبناؤك
جئِنا إليكِ
حاملين الزاد
لا تصَديقهم ففى رغيف الخبز
سُمّ أعدوه بأجهزة
المخابرات
لكل أولادك.

إذا مات أخى
ولم تصلك رسائلنا
فبلِّغى كل الحى
بأننا كنا هناك
نأمل فى حصاد
الزرعِ
والعَوْدة لقريتنا
بِأجْولة القمح.

يا أمى كيف يحس
الخولى
بأنين الأرامل
والأطفال الذين خرب
عقولهم نقص الحنان والكالسيوم؟!

أرجوكى
لا تلومى البِذْرة
إن ماتت
ففِوق كل ذرة تراب
بِيَادات
العَسْكر
وطائرات الصّهَاينة
التى وقفت هناك
تنتظر حرقى.

لكن روحى

سوف تَنْشرَ رحيقك
على الأسفلت
كَىْ يحرق العربات والماضى
ويجعل من تاريخى
الجديد
قصرا لأحلامك.

(٢)

أحبائى وَأصدقائى الخَوَنة
حينما تَعُود الجُثث إلى الحقول
يتجمع الأهلُ حولهم
يسبون الماضى والحاضر
الذى اسْتباح أجسادهم
وَأوْقعهم فى فِخَاخكُم الرّديئة.

سيبكون جميعًا
وتتّشح المنازل بالسّواد
ليس على الوطن الذى خرقت حدوده أجهِزة المُوساد
والمُخابرات العميلة للأعداء
ولكن.. لأن قلبى البريء
ضاقت شرايينُه.

سيعُود أبْنائى
إلى المنزل المَحْروق
وينامون حَزَانى لفقدهم
ظلَّ الأخ
وعَرقَ الأب
ورَحْمةَ الأم
وبَراءةَ الطفل الرضيع.

لكن رَابْعَة الأبية تعرف
رائحة مُؤخِّرتكم
التى انبهرت
بكراسى العسَكْر والسّلطان.

رَابْعَة فخورة بخيبات الكلاب
الذين انبروا فى الشاشات
دفاعًا عن الأمْن الوطنى
والقَومى

لوُكلائهم الذين نَهبَوا عَرقَنا
وفَتكُوا بأرواحنا.

رَابْعَة فخُورة
بِحقُول فلاحيها
وورش عُمالها
وصوت النِّساء
فى المنازل
ونهُود الصّبايا.

رَابْعَة ستصعد للمآذن
وتصرَخ فى الطرَاطير
الذِين أبهروا الدنيا
بجُبنهم وندالتهم
وأياديهم المُلَطَّخة
بفضِّ غشَاء البكارة
لكلِ الصَبايا الحالمات
بالحُب.

حينما يعود العُمال إلى مصانعهم
والشُّيوخ إلى مصاطبهم
ستدهس عُيونَهم
جنازيرَ الدَّبابات
وأجنحةُ الطائرات
ولن يرحمِ قُلوبَكم الميِتة
إلا أصواتُ العصافير
التى غادرت الميدان
خوفًا على أجْنحتها
من عَسَسِ الخيانة.

وعندما يلتمّ الشمل
فى اليلل الحزين
سيخرج الصياد
ويدور بالنهر
ويصْطاد
الأمل
ويعُود إليكم

حاملاً قلبه
فى صناديق القمَامة.

وحِينما تدخل عيونكم
فى روحى
ستبكون على حالى
وَتْغمدون الخنْجر فى جراحى
وتضعُون الثلج
على عيونى المخنوقة
من قَنابِل الغاز
وَدخَّان المُعسكر.

وحينما أعُود
وأتلمّس رائحة عرقكم
ستعود روحى
إلى أعشاشها
فى السّماء.
لا تسألونى عن الجنود الذين
نزلوا من سيارات الهزيمة
بأمْر القائد
كِى تغتال أرواحَهم
سُيوفُ الغدر.

ستقول أمى
كان نيِشانًا
وريانًا
كان ينتظر العروس
فى يوم دُخلته.

سيطيرُ قَلْبى من الضَّجر
وأنا أقف على
ناصيةَ الشارع
أنتظر الجثث
التى دمرتها
رصَاصاتُ الغدر

وَسْط صحراء
العرب.

سيأخذون الجُثث
ويلفونها بالعلم المُزيف
ونشيد الجيش
المُدلل.

لكن الصبِيّة التى انتظرتْ
وليفَها
لن تقف صامتة
ستخْرَج من ضَى
عُيونها نارٌ لتَحْرق
كل الذين تَركوا الجنود العُزّل
مكتوفِى الأيدى
مُنتظرين لحظةَ
إطلاق الرصاص
فى عُيونهم البريئة.

يا أمى كنتُ هناك
وسْمعتُ قائد الموساد
يشرح للصوص
خُطة الانقضاض
على أجْسادهم

وحين هتفتُ بوَقْف الغدر
قطعوا لسانى
واتهمونى
بالخيانة
والتجسس.

أرجوكِ
حين تسْمعين
من التلفاز

عن مُوتى
لا تْعَزِّينى
ولا تحْزنى
فأنا وحيدٌ
فى سُجونهم الرديئة
لا أبغى
إلا رِؤية
صَباحِك.

(٣)

رَابْعَة خَيالٌ من ربيعى
وانكماشُ الأرصفة
وانهيارُ الذُّل
فى قلبِ الرغيف.

خمسون عامًا تنتظر
عام الحصاد
وحينما عَادت الترحيلة
ولم تجد الحقول
ذهبوا هناك
وتدفأوا بعَرق
الرفاق الراحلين.

رَابْعَة نَهَارى وليلى
وشتائى وصيفى
وكلُّ الفصول.

فى عام الرمادة
ستقول أمى
ذهبوا هناك
ولم تَعُد ملابسهم
فهل ماتوا
واغتالت براءتهم
جَحَافلُ العسكر؟!

رَابْعَة انهيارُ الأزمنة
وفتُوحاتٌ جديدة
فى قلبى المليء بالدم الملَوث.
اسْألُوهم إنْ عادوا
وإن رحلوا
عن مكانى
أو صَوْت خلانى.

اسألوهم وارْووا قلوبهم
الظمآنة للفل
علهم يتذكرون قسوتنا
وموت ذاكرتنا
الخسيسة.

رَابْعَة مليئة بالجثث
فهل ندرى عن أى وجه
نبحث فى عجين
اللوادر؟!

خمسون عامًا يُعلِّموننا فى المدارس
أننا أسْرى
وأن جنود الصهاينة
يقفون على الباب
كى يغتالوا
أرواحنا.

وحين كبرنا
وأصبح لبلادنا جيشٌ
ودباباتٌ وطائرة
اغتالوا الطيور
الحالمة.

فمن يخرجِ بعد اليوم
ويرفعُ الأعلام
للشهداء الذين
ماتوا فى رمالِك
المالحة
ودافعوا عن عرض أبنائكِ؟!

رَابْعَة تموت والجنود
المُدَجّجون بالخوذ
والمحميون بالصواريخ وكواتم الصوت
والأسلحة المصنوعة

فى تل أبيب يحشون بنادقهم
بالرصاص
ليحرقوا قلوب الأمهات
التى انتظرت عودة الفتيان
بالنصر المبين؟!

رَابْعَة طائرٌ من هواء
ونورٌ من ملاك
فهل إذا طاف فى السماء
تغتاله الخيانة؟!

خمسون عامًا يجرى
سعيدًا فخورًا
بكابِ العقيد
فهل إذا عاد
تلتقطه رصاصات القناصين
من فوق منازل العامة؟!

رَابْعَة حزينة لحالى
وصمتى وموتى
فهل إذا عادت حبيبتى
ستعود أرواح
الصبايا
وزهور الحقول؟!

لم يكنِ قلبى
مُعسكرًا لأسمع طلقات
الرصاص وأصمت.

عندما عدتُ من هناك
سألتنى
عن نور الصباح
فنظر قلبى
للسماء المظلمة.
وصَمَت لسانى.

ماذا فعلنا
كى يُطيحوا بكل
أحلامك
ويضعوا بدلاً
من موسيقا
المساء
التى تَصْدَحُ فى المقاهى
بيانات وأناشيد
المعسكر؟!

كيف قَبِلنا أن
يسيروا فوق
أجساد الضحايا بلوادر الغرب
المُدجّج
بصواريخ وجواسيس
وقتلة؟!

ماذا أخَذْنا
خلال رحلتنا
الطويلة
منذ المماليك
والغزو المُسَمى
بالفتوحات
سوى
رحلة العرق الطويلة؟!

وأين كنوز الشرق
التى سرقوها
وأخفوها
فى حقائب
الخواجات
وأجولة العُمَد والمشايخ
وكابات الضُّباط
مُدّعى الحماية ؟!

وأين ثمارى وأرضى
وورشى
التى كانت تملأ
سماء الدنيا
بالحب؟!

ولماذا استبدلوا
بذور السلام
بدمى؟
ولماذا خرجتى ووقفتى
أعلى الكوبرى
تتفرجين على
وجه المذيعة
التى تنقل للدنيا
ملامح الرءوس
المُنَكسة وهى
تخرج من الممر
الآمن
إلى الزَّنَازين؟!

خذونى إليهم
لأنظر فى عيونهم
البريئة على أسِرّة
المستشفيات
التى امتلأت
بالصراصير
وجثث الضحايا.

خذونِى إليهم
فى المصانع المُغْلَقة
بأمر الصندوق
والبنك
الغارق فى
نهر أموالى.

خذْونِي إليهم
لأتلمس دفء
ربيِعهم
قبل اغتيالهم الأخير.

يا أمى، إذا عادوا
ولم تحسى
فى عيونهم
بطعم الموت
فاعلمى أِننى
مازلتَ حيًا
فى سجونهم
المُظلمة.

لكننى لم أنسَ
أبدًا طعم خُبزِك
ودفء صوتك
ساعةَ طلوعِ
الشمس
كل صباحِ.

(٤)

أىّ كلبٍ وافق على سحب البَسْمة
من العُيون الآملة؟!

أىّ نارٍ أشعلوها ليخفوا
عن عيوننا قلوب الأطفال
الرَضَّع وسْط المجزرة؟!

خذونى هناك وسط المَحْرقة
والرِصاص
خُذُونى معهم
ليس كشاهد عيان
ولكن كجزء من
الدماء التى استباحوها
باسم الوطن.

تواطأنا جميعًا لتسير الدَّبابات
على جُثثهم.
غير عابئين بصوت العظام
التى تهشَّمت
والعيون التى انْطَفَأت.

خذونى إليهم ولا تعودوا بجثتى
التى تجمّدت
بِفْعل الكذب والزِّيف
الذى ملأ الميادين.

بَعْثِروا الحَبّ فى الحقول
ولاَ تُذكرونى
بحدود بلادى.

ارْدِموا على الوجوه التى اعتلت
الكَراسى
وقَبِلت الثمن.

ارفعوا الرايات السوداء على الأهرام
وحواصل الذرة والقمح
فوق أسطح البيوت.

فى الليل وحينما يحكى الأطفال
عن مجد آبائهم،
لاتَتَذْكرونى.

وأعلنوا نسيانى
واغلقوا صفحة الحاضر
وابدأوا عصراَ جديدًا
لا يوجد
فيه قَتلة
أو تُجار أرواح.

وحين تأتى صورهم فى مُخيِّلتكم،
انكروهم
واسحبوا منهم الجنسية
والهوية،
وتجاهلوا أياديهم
المغروسة فى الطين
والتى أنبتت فى حوارى وقرى بلادى
الزّرع والحب.

وحين تأتى عَرَبةُ البوليس والجيش
على أول الشارع
لتَفْرض حظر التجوال
أعلنوا تبرؤكم
من ماء الخيانة
التى ملأت شبابيك الدنيا.

افعلوا كل ذلك وأكثر
فنحن جيلٌ يستحق
الحرق.

تَجَمّعُوا حول المذيعة
لتَظهر صوركم
وتعلن وجوهكم
بكل سماجة
أحقية الجنود
فى قتل عمال السويس والنسيج
جراء مطالبتهم
صرف الرواتب.

سيأتى رئيس الحزب
ويعلن فى صمود
خطة الطعنة
الأخيرة.

ويفتخر فى زهو
بأن الخونة
الذين احتجوا
على ظروف المعيشة
ولم يعبأوا بانهيار
البورصة
يستحقون السحل.

افتخروا مثلى
بعيون القائد العمالى
الذى تربع على
كرسى الوزارة
ليصحح مسار الثورة
ويفتحٍ للمستثمرين والغشاشين
جيوباً جديدة
للنهب.

اصمتوا أو موتوا
فكل الذين صدَّعوا
رءوسنا
بأحقيتنا فى الحياة

جلسوا فى القصور
مع البهوات الذين
يملكون الدنيا
ينظمون معهم كيفية القضاء على سعادتنا.

اذهبوا إلى الثوار
فى مكاتبهم الفخمة
واشربوا معهم
العصائر
وهنئوهم بالمنصب
الجديد
وانسوا حقوقنا
التى لم يحن
وقت تنفيذها،
فحياتنا الفئوية مازالت
مؤجلة
كأحلامنا!!!

نظِّمُوا المليونيات مع عملاء
الأجهزة
وفلول الخِونة
الذين هرِبوا عرقنا
لخارج حدود
الوطن
كى ينعم أطفالهم

بحمامات سباحة
وأحواضِ صنعت
خلاطاتها
من الذهب الخالص.

يا أمى، إن سواد الليل
سينكشف
وستحرقين بقلبك
كلَّ من وقف على

المنصة
وتاجر فى الأسواق
بثمار حقولك.

لا تنسى أن تذهبى
غدًا للبقَّال
واطلبى
منه الزيت المدعم.

وحين يرفض
إعطاءك الرز والسكر
المختومين
بوشمِ الشحاتة،
ويُظْهِرَ لك فى خسة قرارات
الوزراء الجدد
بوقف الدعم

اصْرَخى
ولِمِّى نساء الشارع
وسيرى بهم
حتى مبنى العصابة
وتبولوا على
كل الذين باعوا
ضمائرهم
وشربوا
أنخاب هزيمتنا
مع رموزِ الخيانة.

(٥)

رَابْعة الملاذ
والنورُ القادم
من قلب أبنائى.

خمسون عامًا مرت
ولم أدرِ بهوية الثوار.

خمسون عامًا ضاعت
وَسْط الحوارى
وأحلام المحبة
والوطن النابض بالأمل.

لكن المشهد الأخير
دلل على عجزِى.

فى عيون الفَجْر
كنا هناك
ننتظر الموت،
ورَابْعة تقف مذهولة
من هول ما حدث.

فأى ماضٍ أركن إليه؟!
وأى مستَقبلٍ أتطلع إليه؟!
لا تسألينى عن مصيرى
لا تأخذى قلبى الضعيف
وتسيرى وسط المذهولين.

لا تسحبى
يدى المباحة
إلى كتيبةِ الأعداء
فرصاصُ حظر التجول
لا يفرق بين الجثث.

أرجوكِ يا أمى

إن شاهدتى قرينى
وسط اللصوص
لا تحزنى.

نعم، كنتُ هناك
وشاهدتُ بحور الدم المستباح
نعم
لم يكن قلبى يمامة
ولا ألوان السواد
غمامة
ولا موسيقا الحرب فيلمًا
عن الأعداء.

لم تكن صرخات الخوف
التى ملأت السماء
حادثًا عارضًا
أو كارثة طبيعية.

كان المشهد مدبرًا
وشاركنا جميعًا فى تمثيله،
ولعبنا الأدوار التى
رسمها المخرج
والقائد الأعلى
الذى يدير البلاد
والمأمور
بمعاونة الأسياد
الذين يشربون
نخب انتصارهم
فى البيت الأبيض.

والذين لوثوا ملابسنا
برائحة البلطجية
والزعماء
والساسة
الذين باعوا الهواء

لأجل
النساء الشقراوات
الداعرات.

رَابْعة تصابر وتعلل
وتكابر
ونحن نقف فى طوابير التواطؤ!
وطرقات الانكسار
نسمع الراديو
وتحليلات الساسة
الذين غطوا على المجزرة.

واكتفينا بمصمصة الأصابع
وبيانات الشجب والتنديد
وخرجنا من المشهد كمغلوبين
على أمرنا.

رَابْعة أميرة
طاهرة،
وقفت وحيدة
والكل عاث بثديها
ورفع ملابسها الخفيفة،
آملاً فى تحسّس فخدها
ونهودها الطرية.

أرجوكِ إن كنتى هناك
فانكرينى
ونكِّسى رايات النصر،
فالعقولُ المظلمة
والكروشُ التى تزكم رائحتها الأنوف
مازالت هناك
تنتظر موتِى.

سيقولون
حانتْ ساعة الحسم

وينامون بأحضان
ملوك العرب
الذين خانوا
وعاثوا فى حقول الدم
وفجروا دماء
شهدائنا
بالأسلحة الفاسدة...
سيتكالبون على زيارة
المملكة
والسلطنة
ويدخلون كالبغايا
إلى أسِرّتهم
ليعبثَ ملوك العرب
فى مؤخراتهم
ويخرجون من هناك
ويصدرون البيانات
التى تُؤله
جلالة الملك
الذى عطف على بلادى
بحقائب الذهب !!!

سيقولون فى خلاعة
وعلى شاشة التلفاز،
"نعْمَ الأصول القبلية
لعظمة السلطان "
نعْمَ الخيول والخيام
والكروش والطشوت
والسجاجيد العربية
التى امتطى
شيوخهم عليها
الغلمان
والصبايا البكر !!!

سيأمرون الجيوش
التى دفعنا من دمائنا

كى ندربها على حماية جسور الحقول
ومكن المصانع وسد أسوان.

وعند اختبارهم الأخير
ذهلونا باغتيالهم
أجملَ ما يميز
لون الشمس
فى بلادنا.

وعلى جانبٍ آخر
من حياتى
يقف القوادون
يعقدون المؤتمرات
والجلسات السرية
ليعلنوا
ضرب دمشق
وبيروت
والقاهرة
وصنعاء
وبنغازى
قرب الفجر.

سينسون جميعًا
بيت المقدس
ونساء اللاجئين
وأطفالهم،
فاليوم لم يعد
إلا الربيع العربى
الذى سيتوج فى النهاية
بضياع حدود واسم فلسطين
ومحوها من
كُتُبِ الجغرافيا
والتاريخ.

سيجلسون بالساعات

يرتبون مع القتلة
فى تل أبيب
خطة الشرق
الجديد
التى يجب أن يديرها
وكلاء وخونة
عرب،
لأننا أبناء أمة
واحدة
ذات رسالة خالدة،
ولا يجب أن يدير
بلادنا وكلاء وخونة غيرنا.

سيفتخرون بأنهم
بغايا وأنصافُ رجال
تابعون لحلف الناتو
بادعاء حماية الأمن
القومى
الذى قَسَمَ ظهورنا
وأحنى جبيننا
وسرق عَرَقنا،
ونفطنا، وغازنا،
وحياة شبابنا.

من أجل شيءٍ واحد
نعرفه جميعاً،
لكنهم نسوه فى غمرة
وبهجة
الكراسى وهالة القصور
الرئاسية.

ليتهم يا أمى يتذكرونه،
ليتهم يا أمى يفقدونه
كى نسعد بحصاد
الحقول مرة أخرى

ولكن
دون مرائين
أو وكلاء عاهرين.

(٦)

رَابْعة... المعسكر والخنادق
والحقول والمصانع
والورش.

رَابْعة... الزهور
والفتيات
والمدارس
والمصحات
والعرايا والضحايا.

رَابْعة... خرِيفى
وانتظار الموت
من كلِّ الرفاق.

رَابْعة... طابور الصباح
فى المدارس
ونشيد بلادى
وجرس الفسحة
وحصة الألعاب
وكتاب المطالعة.

رَابْعة الأنين المُر
فى كل الشوارع
وطوابير الضحايا
على أفران الخبز
وبنزينات الغاز.

رَابْعة تاريخى فى المصحات
وتوقيعات َالسادة الوزراء
على طلب العلاج
ورائحة الموت فى الثلاجات.

رَابْعة المصب والنهر

الذى نأتى منه
ونعود إليه بجثثنا
لنتوارى فى المدافن
أو نختفى على المقاهى
طالبين الستر.

رَابْعة ترانيم الصباح
على الأرصفة
التى تستقبل الأبناء
والإخوة
الذين تركوا
قراهم
وجاءوا
إلى الأرض الخراب
آملين
بيومية شريفة
ولقمة نظيفة.

رَابْعة النجارة والحدادة
والسباكة والخراطة
والمطاعم
وصيدليات المرضى
الذين ملأوا العيادات
الرخيصة التى
تفتح أبوابها
ولا تغلقها!!

رَابْعة رائحة الفلاحين
والزرع
والندى
ومواسم الحصاد
ومنسوب المياه
الشحيحة فى الترع
التى نست وزارة
الرى تطهيرها

من الحشائش
وأكوام الروث
وأكياس الزبالة
التى زكمت أنوفَنا.

رَابْعة أسيرة
بزيف الصناديق
ومقاعد البرلمانِ
والدستور المُشبَع
بدم
الذين ماتوا
ولم ينسوا خيانتنا.

رَابْعة الشباب الضائع
على كلِّ النواصى
وباكتات البانجو
وسلوفان الحشيش.

رَابْعة غزل المحلة وسجاد دمنهور
وحديد الدخيلة
وعمال المطابع
الأميرية.

رَابْعة حقول الأرز
وعيدان الذرة
وبالات الشعير
وخبز الفلاحات
فى النجوع المنسية.

وعناد الصبايا
وانبهار الوجوه
على الأرصفة
وأوشة العيون
وضحكة الفم العفيف
وندوى الربيع

فى عيون
تلاميذ المدارس.

رَابْعة البراح الواسع
على المدقات
الطويلة وسط الحقول.

رَابْعة نسيمُ البحر
على شطِّ العصافرة
ورائحة البراح
فى حديقة المنتزه.

رَابْعة أسيرة فى معبد الكرنك
وقلعة الكبش
ومدافن الموتى.
رَابْعة الحسين والأزهر
وموالد الأضرحة
الممتدة بطول البلاد.

رَابْعة الزحام والفوضى فى الباصات الطويلة،
وسندوتشات الفول
والمخلل
كل صباح.

رَابْعة هنا فى النهر
الذى مد البشر
بنسائم الفل
ورائحة
الملوحة.

عن أى وجه تسألوننى
وتعيدون أنصاف الرجال
إلى المنصات
التى فرمتها
مجنزرات العسكر؟!

عن أى شخص
وبأى قريةٍ وأى حيٍ
تبحثون؟!

فى كل بيت
ظلالُ رَابْعة.

فى كل حقل
أنينُ رَابْعة.
فى كلِ يوم
بكاءَ رَابْعة.

رَابْعة وحيدة وتستغيث،
فهل تسمعوها؟

خمسون عامًا
كانت هناك
وتنتظر عدلاً
ونوراً وسلامًا.

والظلم قابعٌ فى الميدان
والأجهزة المنتشرة
فى كلِ الحوارى
تنشرَ الرعب
كى تجف زهور
قلبى
لكنى روح الحى
قابعٌ فى العشش
والعيون
يحرق الأعمى
والأبرص
الذى جلس على شطِّ
البحيرة
يبتغى قتلى.

رَابْعة تنام على الصليب
وتصرخ بالمآذن
وتنادى على الطفل
الوليد،
لا تقتلوه،
لا تصلبوه،
فهناك أمٌ
فى المدينة تنتظر
وهناك أبٌ
فى الحقول.

أرجوكى يا أمى،
لا تنكرينى،
فقلبى يمامة تغرد
كل صباح
بنشيد عشقك.

رَابْعة تموت من دخان
القنابل
وأنتَ مازلتَ تكتبُ
الألغاز والأشعار
والقصص المملوءة
بعجائب السرد،
كى تنال
جائزة الدولة
التقديرية
فى فنون السيرك
وحب الوطن المدنس
بدم الخيانة.

(٧)

رَابْعة ستحيا من جديد،
سترفعُ البرقع
وتحلقُ اللحية
وتلف القرى
والورِش
وتطيِب الجروح.

ستخرجُ من جنونى
إلى فضائك،
وتعلنُ من جديد
شارة الفقراء.

ستدفع بالمزيد من الضحايا
ليحاكم كل الذين
كشفوا عورات
الصبايا
وانتهكوا حرمات
الحالمين
بالنصر.

ستلاحقُ القوّاد
والمذيع
الذى يُخْرِجَ حرف
الراء
مرخية كذِيل البرص!!!

ستدعك فى الصدور
وتعيد الروح
وتنشر البهجة
وسط الحوارى.

ستعيد المقهورين
وتحاكم الوكلاء
الذين دنَّسوا

وجه بلادى
بصفقات الغاز
والغزل
والبيبسى المعلَّب.

ستعالجِ المرضى
وتفتحِ فى بيوت الغلابة
طاقةً للحب
وقيمةً للود الذى ضاع
بين الأرصفة.

رَابْعة نهايةُ كل جلاد،
تصور أن حلفاءه
المدججين بالصواريخ
واليورانيوم
سيحمونه
ويخفونه
فى ظلام الأجهزة.

رَابْعة الأبية ستغفر
وتعفو
وتعالج اللصوص
الذين نهبوا
وقتلوا
وانتهكوا
حرمات المنازل.

رَابْعة ترفرفُ فى الصباح
وتغنى مع الفلاح
أنشودة الليل
وترمى بذور المحبة
فى الأرض الجديدة
وتعانقُ البلبل
وتعيدُ البسمة
إلى وجوه النِّساء.

رَابْعة ستلقى بروحها
وربيعها
على نور العيون
وتعيد صوت المكن
ليغزل الفل
وينتج الخير
فى كل المصانع.

رابعة ستمطرَ من جديد
وتدفئ ليالى العيد
فى رمضان
وتأخذنا إلى المقاهى
نسمعُ الأذكار
والمواويل
وتُعيدُ بحور
الود
كى تجرِى
على خط الصعيد.

رَابْعة تظَلل شمسها
كلَّ الحقول
وتعيد إنتاج السعادة
وتبتهج بميلاد
زهرة جديدة
للحياة.

سيقولون حالمًا ورومانسيَا
وسيخرجون القلب من الجسد الضعيف،
ويقولون:
"قواد وكافر ".

سيبدعون فى وصفك
بكل ألوان الطيف
والزيف.

سيضعون جسدك على
الصلبان،
ويطلقون الرصاص فى
قلبك.

لكن ذلك كله لن
يوقِف النار التى
أشعَلوها
لأن يومًا ما قريبًا
سينبت الدمِ سنابل
تحتمى فيه البيوت
وتعيد شارتنا المجيدة

الوراق
٢٠١٣